Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10258

التركيبة السكانية للمدينة المنورة_يثرب_ (اليهود نموذجاً)

دلشاد محمد كريم

قسم التأريخ، كلية التربية، جامعة كرميان، اقليم كردستان العراق

Article Info

Received: July, 2022

Revised: July, 2022

Accepted August, 2022

Keywords

المدينة, السكان, اليهود, الرسول, صحيفة المدينة.

Corresponding Author

dlshad.kareem@garmian.edu.krd

الملخص:

يعد اليهود من الجماعات التي قاموا بالهجرات العديدة بين بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين والحجاز وأينما حلوا كانوا مثار جدل عبر التاريخ، واليهود أحدى أهم الجماعات التي كانت ضمن التركيبة السكانية لمدينة يثرب ومن الأوائل الذين سكنوا المدينة وعمروها، وأتخذوا أفضل أماكن المدينة التي كانت تمتاز بالأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، وكان لهم دور كبير في إنعاش الحالة الأقتصادية للمدينة بسبب إمتلاكهم لتلك الأراضي وأيضاً لأنة الكثير منهم كانوا أصحاب حرف ومبدعين في تلك المهن مثل الصياغة وصنع الأدوات الخاصة بالقتال، وأيضاً كانوا أصحاب أسواق خاصة مما أنعش التجارة في المدينة كما بنوا الحصون والآطام في المدينة وغيرها، وهم من أدخلوا الكثير من الأشياء والحرف الى المدينة لذلك نرى إن الرسول (ﷺ) مدركا لدور اليهود في المدينة وأهميتهم ومنحهم الكثير من الحقوق وساوا بينهم وبين المسلمين وغيرهم في الحقوق والواجبات، حتى إنه ذكر لفظة اليهود في صحيفة المدينة مرات عديدة، إلا أن بعض اليهود منهم لم يتوقف عن إثارة المشاكل ومحاولة إيذاء المسلمين ومحاولة زرع الشقاق بين المسلمين، واعتبروا أنفسهم إنهم أعلى مرتبة ودينا من غيرهم واعتبروا الإسلام بمثابة تهديد لهم، ولكن الرسول رغم ذلك كان ينظر إليهم نظرة أهل كتاب وتعامل معهم مرات عديدة حتى بعد إجلاء بعض القبائل اليهودية التي أخلت ببنود الدستور وأثاروا المشاكل، حيث بقى العديد من القبائل اليهودية في المدينة ونرى الرسول تعامل معهم وبقوا في المدينة ومنهم من أسلم في عهد الخلافة الراشدية .

ألمقدمة

يعتبر اليهود في التأريخ من أكثر الجماعات هجرة في التأريخ بسبب الظروف التي كانت تحيط بهم في أماكن تواجدهم سواءً في الشام أو بلاد الرافدين أو مصر أو الجزيرة العربية لذلك نرى إنهم هاجروا الى الجزيرة العربية ليكونوا بعيدا عن متناول الروم والفرس، وهم من سكنوا مدينة يثرب حتى ان البعض يرى بأنهم سبقوا العرب في السكن فيها وعمروها وان العرب جاؤوا من بعدهم، وكانوا يختلفون عن العرب من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة ، وحاولنا في بحثنا هذا أن نلقي الضوء على اليهود في المدينة من حيث فترة مجيئهم الى مدينة يثرب ودورهم فيها من الناحية الإقتصادية وإنهم كانوا سببا في إنعاش التجارة فيها لخبرتهم في هذا المجال وأيضا لانهم كانوا أصحاب حرف ومهن لذلك كان يقصد أسوقهم الكثير من الناس، وأيضا من الناحية السياسية لأنهم دخلوا في تحالفات وأيضاً قاموا بالكثير من المشاكل في الجاهلية وكانوا سببا في الكثير من الصراعات منها حرب البعاث وفي عهد الرسول أيضا قاموا بتأثير على بقية سكان المدينة ، واوضحنا أماكن سكناهم وأبرز ما كانوا يشتهرون بها في المدينة في مجال الصناعة والحياة اليومية وأوضحنا الطرق والاساليب في التعامل اليومي مع غيرهم ، واوضحنا كيف أن الرسول(ﷺ) ، بعد هجرته الى المدينة أهتم باليهود ولم يغفل دورهم وثقلهم في المدينة وكيف إنه حاول المساواة بينهم مع غيرهم من الطوائف ، وخصوصا انهم كانوا يعتنقون ديانة سماوية لذلك عاملهم معاملة خاصة ودخل معهم في محاورات دينية عديدة، ورغم أن الكثير منهم كان يعمل على إثارة المشاكل إلا أن الرسول(ﷺ) تعامل مع كل حادثة لهم على حدى ولم يجلي كل اليهود عن المدينة سوى ثلاثة قبائل الذين اثاروا مشاكل كبيرة ، وأن جماعات منهم بقوا في المدينة وعاشوا مع

المسلمين في سلام, وقد قسمنا بحثنا على ثلاثة مباحث،ففي المبحث الأول تنولنا التركيبة السكانية من يهود والعرب،وفي المبحث الثاني ذكرنا الجانب الاقتصادي لليهود وحقوقهم في ظل صحيفة المدينة، وفي المبحث الثالث ذكرنا أهم القبائل اليهودية في المدينة، وهنا يجب أن نشير الى صعوبة كتابة بحث عن اليهود يكون فيها الأمانة العلمية خصوصا في ظل الإختلافات والمشاكل الكثيرة المثارة حولهم بحيث لم يذكر نواحي حياتهم وكثير من إمكاناتهم .

التركيبة السكانية للمدينة المنورة_يثرب_ (اليهود نموذجاً)

المبحث الاول

التركيب السكاني ليثرب قبل ظهور ألإسلام

عاشت في يثرب العديد من المكونات العرقية والدينية،جاؤوا وإستقروا فيهامنذ زمن بعيد،منها:

أولاً-اليهود:

لفظة اليهود له معاني عدة منها الشخص الذي يعتنق الديانة اليهودية قال تعالى :((مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ))[1],ومنها معنى التوبة والرجوع يقال هاد الرجل أي تاب ورجع الى الحق[2], أو مأخوذ من أسم يهوذا أبن يعقوب ولفظ اليهود أصبحت تعني بني إسرائيل وأصبح يستعمل من قبل الكتاب والباحثين بمعنى واحد مع إن بني إسرائيل يرجع الى عدة معاني منها إن لفظة اسرائيل مركبة إسر بمعنى عبد أو مختار وئيل بمعنى الله أي عبد الله أو مختار الله[3] واليهود ينتسبون إلى ألأقوام ألسامية التى تعود أصولها إلى الجزيرة العربية , ويعتبر من أكثر تلك ألأقوام حلا وترحالا عبر التاريخ الطويل لهم وقد قام اليهود بهجرات عديدة على مر التاريخ نتيجة للعوامل الطبيعية مثل قلة الأمطار وجفاف الجزيرة العربية والتصحر الناتج عن الظروف المناخية وأيضاً نتيجة العوامل البشرية مثل التهجير والحروب والسبي وخاصة في الشام والعراق ومصر ومن تلك الهجرات ما كانت تحدث بين الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ولاسيما قبل الميلاد في فترة سيطرة الفرس على العراق والروم ألبيزنطيين على الشام [4]، ولعل وجود اليهود في الجزيرة العربية بشكل عام قديم, حيث قاموا بالهجرة مع الأقوام السامية الأخرى الى العراق وشام حيث ورد ذكر اليهود في الجزيرة العربية في التوراة [5]، ومن تلك الهجرات هجرتهم من فلسطين بعد أن تعرضوا للسبي والأسر والقتل على يد الملك سرجون الثاني (سنة721ق.م) [6]الذي قام بحملة عليهم وسبى منهم أكثر من عشرة آلاف شخص الى بابل، وأيضاً قام الملك نبوخذ نصر الأشورى بالقضاء على مملكة يهوذا وقتل الكثير منهم وسبى أكثر من خمسين الف شخص يهودي إلى بابل سنة 586 ق.م [7]، وايضا هجرتهم بعد إحراق الهيكل المقدس من قبل القائد الروماني تيتوس سنة 70م [8]، وأيضاً تعرضوا لهجرة أخرى بعد قيام الإمبراطور الروماني هدريان بإبادتهم وإخراجهم من فلسطين سنة132م نتيجة لقيام اليهود بالعديد من الثورات ضد النظام الروماني[9]، وكان لزيادة أعدادهم في فلسطين ، وكثرة الأقوام هناك جعلتهم تحت ضغط كبير مما جعلهم يهاجرون الى البلدان المجاورة كالعراق والجزيرة العربية ومصر [10].

اليهود في المدينة:

سكن اليهود في أماكن كانت من أفضل مناطق الجزيرة من حيث الموقع المناسب والأرض الصالحة للزراعة,مثل المدينة المنورة وخيبر و فدك وكانت تلك مناطق تمتاز بكثرة الآبار والعيون مما جعلها قبلة للجماعات اليهودية المتجهة للجزيرة العربية[11]، والمدينة والجزيرة العربية بشكل عام كانت ملإئمة لليهود بسبب نظامها البدوي وتعدد الديانات إي إنها كانت مناسبة لممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة وأيضاً لأنة الجزيرة سهل الإنسلال فيها وأيضاً لوجود الصحارى الشاسعة التي كانت تعيق القوى الكبرى عبر التاريخ من أجل السيطرة على الجزيرة العربية لذلك كان اليهود بمأمن في الجزيرة العربية وكانت أجواءها مناسبة لممارسة التجارة بحكم موقع الجزيرة وهذا ماكان يتناسب مع اليهود لانة غالبيتهم كانو يعملون في مجال التجارة والحرف والصناعات [12]، وهذه الهجرات المتعاقبة الى الجزيرة العربية جعل اليهود يندمجون تدريجيا في البيئة العربية وأنتظموا على شكل قبائل وأخذوا الطباع العربية ونلاحظ حتى إن كثير من أسمائهم أسماء عربية، نتيجة الإختلاطهم وإنصهارهم في البيئةالعربية وتحدثوا باللغة العربية, وكان لهم أثر في إعتناق أفراد من قبيلتي الأوس والخزرج لليهودية بحكم إختلاطهم في المدينة [13]، وكانت مدينة يثرب تعد من أخصب المناطق في الجزيرة العربية لما كانت تمتاز بها من كثرة المياه والتربة الصالحة للزراعة، لذلك قصدها اليهود وأتخذوا أفضل مناطقها للسكن وهي غربي المدينة وجنوبها ووضعوا أيديهم على اهم مصادر العيش فيها وتحكموا فيه وبنوا البيوت الكبيرة والآطام والآطام يشبه القلعة والحصن وكانت خاصة باليهود وكانوا يبنون الكثير من الآطام ويوجد آثار العديد منها الى وقتنا هذا [14] والآطام بناء كبير لكنها قليل النوافذ والابواب وكانوا يحتمون بها اثناء وجود خطر عليهم لأنة حوائطها منيعة كما وكانت تستخدم لخزن الحبوب والمحاصيل أيضاً ، وكانت هناك اسواق بقرب تلك الآطام وكانوا يقومون فيها بشعائرهم الدينية وتعليم أبنائهم الدورس الدينية وأيضاً يجتمع فيها كبار قومهم للتشاور أي إنها كانت معبد لهم[15]، والواضح أنه كثر أعدادهم وتزايدوا بشكل كبير مما جعل غالبية سكنة المدينة من اليهود ومن أهم

القبائل اليهودية في المدينة المنورة بنو قينقاع وبني النضير وبني قريضة [16]، وهذه القبائل قد هاجرت من فلسطين الى المدينة في القرن الاول الميلادي.

ومن المؤرخين من يرجع نزوح اليهود إلى المدينة الى زمان سيدنا موسى عليه السلام حيث شكوا تسلط العماليق في الحجاز وإمتداد غاراتهم الى الشام وأصبحوا مصدر خطر على بني إسرائيل لذلك شكوا الى موسى عليه سلام أمرهم, لذلك ارسل موسى جيش اليهم وإنتصروا عليهم وقل أمرهم وخطرهم وبعد رجوعهم الى الشام وجدوا نبي الله موسى قد مات فقالت بنوا إسرائيل لهم:(قد عصيتم وخالفتم فلا نؤوينكم) فقالوا :(نرجع الى البلاد التى غلبنا عليها فنكون بها) فرجعوا إلى المدينة وإستقروا بها وجعلوها موطنا لهم[17]، وهناك من يرجعه الى سبب أخر وهو إنه عندما حج موسى ببنى إسرائيل وبعد إنتهائهم من الفريضة مروا بموضع المدينة فراوا فيها صفة نبي أخر زمان ألموصوف في التوراة لذلك بقت طائفة منهم هناك ورجع البقية مع موسى عليه السلام[18]، وسكن بني قينقاع داخل المدينة بعد نشوب خلافات مع القبيلتين الأخريتين وإستقر بنو النضير بالعالية بوادي بطحان ألتى كانت على أطراف المدينة أنذاك وكانت غنية بالبساتين والنخيل, وسكن بنو قريضة في منطقة مهروز التى كانت تقع على الأطراف الجنوبية من المدينة، ونتيجة لسيطرتهم على تلك الموارد وكثرة اعدادهم كانوا يمارسون اكثر الوسائل جشعا وظلماً على غيرهم من القبائل العربية.

ثانياً-القبائل العربية(الأوس والخزرج):

يعتبر قبيلتا الأوس والخزرج اكبر قبيلتين سكنتا يثرب منذ زمن بعيد، و يرجع اصولهما إلى بلاد اليمن وكثيرا ما كان يطلق عليهم لقب اليمانية ومنهم حذيفة اليماني, وينقسم الأوس والخزرج الى عدة بطون, فمن بطون الخزرج المعروفة بنو النجار وهو تيم بن عبد الله بن ثعلبة حارثة بن الخزرج بن حارثة بن ثعلب بن عمرو بن عامر وهو أصغر أخوال عبد المطلب بن هاشم مارس اليهود كل الوسائل الضغط على القبائل العربية لانهم كانوا كثرة وصاحب قوة حتى وصل الأمر الى أن العرب بما فيهم قبيلتا الأوس والخزرج لم تستطع رد اليهود عن مالهم وعرضهم، لذلك أستعان العرب بأحد ملوك اليمن لنجدتهم ضد اليهود وهو مالك بن العجلان الذي الحق اليهود الكثير من الخسائر وقتل منهم خلقا كثيرا [19]، مما كان له الأثر الكبير في إضعافهم وتقليل نفوذهم وقل عددهم في يثرب فصار العرب هم الأغلبية ، وأتسمت العلاقات بين تلك القبائل اليهودية فيما بينها بالتوتر والفتور حالها حال القبائل العربية وقاموا بتحالفات مع القبائل العربية ووقفوا ضد بعضهم البعض في تلك التحالفات، ومثال ذلك عندما قامت حرب بعاث بين قبيلتي الأوس والخزرج قبل الإسلام والتي كانت من أكبر الحروب التي نشبت في المدينة وقتل فيه خلقا كثير، وفي هذا الحرب مال أهم القبائل اليهودية بنو النضير وبنو قريضة إلى قبيلة أوس ومال بنو قينقاع إلى الخزرج[20].

المبحث الثاني: الناحية الإقتصادية لليهود في يثرب

اليهود والناحية الإقتصادية في يثرب:

كان لوجود أنبياء كثر بين أليهود الأثر في أن يكونوا مميزين في شتى المجالات ففي الناحية التعليمية فالاديان السماوية تحث على العلم والتعلم ،وهم كانوا أهل كتاب سماوي، وكان البعض منهم يعلم الصغار في المدينة القراءة والكتابة من غير أليهود، حتى ان منهم من أسلم وأصبح بعد ذلك كاتبا للوحي عند رسول الله ﷺ وخير مثال على ذلك أبي بن كعب رضي الله عنه [21]، وايضاً انعكس على تطورهم في العلوم حتى نرى إنهم تقدموا في مجالات شتى منها خاصة الناحية الاقتصادية .

ا-تجارة اليهود: لقد كانت ألتجارة في الجزيرة العربية نشيطا جدا ويعود ذلك إن طرق التجارة كانت أمنة ولم تكن المنطقة منطقة حروب كما كانت عليها المناطق الواقعة إلى الشمال من الجزيرة التي كانت تشهد صراعا طاحنا بين الفرس والروم، والمدينة المنورة إضافة الى إنها كانت مدينة زراعية فان لموقعها الجغرافي أعطاها أهمية كبيرة حيث أنها تقع على طرق التجارة بين بلاد الشام واليمن جعلتها من بين أهم المدن من الناحية التجارية ولا شك إن لليهود دور كبير في إنتعاش تجارة المدينة، وأيضاً وجود المنتوجات الزراعية و الصناعية في المدينة كان لها دور كبير في التبادل التجاري مع المناطق ألأخرى سواء في الجزيرة أو بلاد الشام وأيضاً خبرتهم الكبيرة في مجال التجارة كل هذه العوامل جعلت من اليهود من أكبر منافسي تجارة مكة [22]، وكان الجزء الأكبر من تجارة المدينة تحت سيطرة اليهود لأنهم أصحاب أموال كبيرة، ومن أهم القبائل التي كانت أفرادها يعملون في مجال التجارة قبيلة بني قينقاع ألتي كان لهم سوق كبير بأسمهم وكان يقصده الكثير من الناس من غير اليهود بقصد لبيع والشراء البضائع[23]، وكانت هناك أسواق عديدة في المدينة تنشط فيها اليهود منها سوق في منطقة العقبة عند قباء[24] وسوق مزاحم قرب بيوت بني حبلى وسوق قرب البقيع كانت معروفة ببقيع الخيول[25] وكان اليهود يختلفون عن غيرهم في طريقة التعامل التجارى ، فقد كانوا يعتمدون على الربا والقروض ذات شروط صعبة وأستخدموا كل الوسائل لحصر التجارة في ايديهم وأحكموا السيطرة عليها وكسبوا ثروات طائلة نتيجة أسلوبهم الخاص في التجارة[26]، ومن البضائع التي كانوا يتاجرون بها الخمور والحبوب كالشعير وأيضاً الأخشاب وخصوصا أن المدينة كانت غنية بالأشجار التي كانت تأخذ منها الأخشاب وايضا ماكان

يصنع في المدينة من حلى وعقود وأيضاً الأسلحة مثل ألسيوف والدروع وغيرها، وفي مجال تجارة العطور كانوا يتاجرون بأنواع مختلفة من العطور والمسك والخور[27] .

ب-اليهود في المجال الزراعي: رغم إشتهار اليهود في المجال التجاري عبر التاريخ الإ إنهم كانوا مهتمين كثيرا بالزراعة في المدينة، وأستغلوا الأرض أحسن إستغلال و خاصة زراعة المنتوجات ألمنسجمة مع بيئة ألمدينة وأرض المدينة مشهورة بخصوبتها ومن أحسن الأراضي في الجزيرة العربية الغنية بمصادرالمياه وخاصة الآبار، ولأنة اليهود سبقوا العرب في السكن نلاحظ إنهم سيطروا على أكثر المناطق المناسبة وخاصة الغنية بالآبار وأنهم كانوا لهم العديد من الآبار وكانوا أحيانا يستخدمونها في الضغط على غيرهم لذلك نرى الرسول ﷺ مهتما بالحصول على بعض تلك الآبار وحث المسلمين ممن يملكون المال المناسب ان يشتروا تلك الابار،ومن تلك الابار الذي اشتراه مسلمون بئر خنافة وبئر رومة الذي اشتراهما عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن الأشجار التي أهتم اليهود بزرعها في المدينة شجرة النخيل والنخيل من أكثر الأشجار ملائمة لبيئة الجزيرة عامة والمدينة خاصة لذلك نرى إنه المنتوج الأساسي الذي كان أهل الجزيرة العربية مهتما بزراعتها لأهميتها حيث ثمارها أي التمر كانت تدخل ضمن المكونات الأساسية في أكلهم وكانوا يتاجرون بها مع المناطق المجاورة خاصة بلاد الشام والمدينة كانت مشهورة بإنتاج أنواع خاصة من التمور، اضافة إلى ذلك كانوا يستخدمون أشجار النخيل في أشياء كثيرة كالبناء ولإستخدامات يومية أخرى[28] .

أضافة لأشجار النخيل فقد زرعوا أشجار العنب وخصوصا إنهم أستفادوا من ظل النخيل حيث زرعوا تحتها العديد من المحاصيل وكان ظل النخيل تقيها من الحرارة، ومن المحاصيل الاخرى المزروعة أنذاك الحبوب وخاصة القمح والشعير الذي كانت ألمادة الرئيسية في حياة ألسكان وكانت إنتاجها وفيرة ويسد جزءاً كبيرة من حاجة سكان المدينة، وكانوا يقومون بخزن محاصيلهم في الآطام والحصون، إضافة إلى ذلك فقد زرعوا الفواكة العديدة منها الرمان والبطيخ و أيضاً الخضروات بجميع اشكالها[29]، ولأنهم منذ البداية اخذوا الأراضي المناسبة لذلك كانوا اصحاب أراضي شاسعة لم يكن في مقدورهم زرعها لوحدهم لذلك كانوا غالبا ماكانوا يقومون بالإستعانة بالأيدي العاملة يوميا وأحيانا كثيرة يعطونها لغيرهم على شكل إيجار او بأخذ نسبة معينة من المحصول في وقت الحصاد والإنتاج[30].

ج- المجال الصناعي: يعتبر المدينة من أهم الأماكن شهرة في المجال الصناعي في الجزيرة العربية لوجود محاصيل الزراعية ووجود بعض الأشياء التي كانت تدخل في الصناعة كالأخشاب، واليهود في المدينة إمتهنوا العديد من الحرف وخصوصا المرتبطة بمجالات حياتهم اليومية، وأستطاعوا بفضل هذه الصناعات مع التجارة السيطرة على إقتصاد المدينة، ومن الحرف التي عرفوا بها في المدينة النجارة حيث كانوا يصنعون الأبواب والأثاث والنوافذ وغيرها من الأشياء، ويعد وجود الغابات الكثيفة ذات الأشجار الكبيرة في أجزاء من المدينة وخصوصا الناحية الغربية للمدينة عاملا مساعدا في إنتعاش حرفة النجارة في المدينة [31] .

وكانت الحدادة من المهن الذي كان اليهود قد إشتهرو بها، حيث أهتموا بصناعة الأسلحة ومن الأسلحة التي كانوا يصنعونها ألدروع والسيوف والرماح والسهام والخوذ وغيرها من الأشياء التي كانت تستعمل في مجال القتال [32]، وقاموا أيضاً بصناعة الأدوات المستعملة في الزراعة كالفؤوس والمناجل وأدوات الحراثة والري التي كانت ضرورية لأهل المدينة[33]، ومارس اليهود مهن أخرى كالحياكة والخياطة والنسيج وأيضاً الأدوات المنزلية كالقدر والأواني وكانوا يصنعونها من النحاس[34]، ولعل المهنة الأكثر شهرة لليهود هي الصياغة حتى إن الكثير من التجار والناس كانوا يقصدون المدينة وخاصة أسواق اليهود لأنهم أبدعوا في هذا المجال فكانوا يصنعون الأساور والقلائد والعقود والحلى والقرائط من الذهب وزينونها بالأحجار النفيسة وكانوا بارعين في صياغتها[35]، وأشتهر اليهود أيضاً في صناعة الخمور وكانت خمورهم من أجود أنواع الخمور وكانوا يصنعونها من العنب والتمور أيضاً ويحفضونها في جرات كبيرة مصنوعة بشكل خاص للخمور[36].

اليهود وصحيفة المدينة : الدستور اوالوثيقة أو الصحيفة من اهم اعمال الرسول (ﷺ) الذي حددت ملامح العلاقات بين أهل المدينة من المسلمين وبين اليهود وغيرهم في المدينة ونرى في ظل الصحيفة المدينة التعايش الأجتماعي والسياسي والثقافي وألتحالفات التي كانت موجودة بين القبائل، ووصف الصحيفة أهل المدينة سواء أكانو مسلمين او يهود بالأمة ويدل الوثيقة على مقدرة كبيرة من الناحية التشريعية وحنكة وخبرة قيادية كبيرة للرسول(ﷺ) ودراية كبيرة بالتركيبة السكانية للمدينة وأحوال وظروف سكانها، وقد عرفت هذا الوثيقة بالدستور أو الصحيفة ويعود كتابته إلى بداية وصول الرسول (ﷺ) وأستقراره في المدينة ،حيث إنها كانت مسألة ملحة وضرورية لتنظيم شؤون المدينة[37] وأحوالها و وضعها بشكل ينسجم مع التركيبة السكانية المعقدة حيث المسلمين والكفار واليهود وغيرهم من الأطياف الأخرى، وقد قسم هذه الصحيفة سكان المدينة الى ثلاثة أطراف المهاجرين طرف والأنصار(قبيلتي الاوس والخزرج) طرف واليهود طرف أخر، وحددت الصحيفة وأوضحت ملامح الدولة الإسلامية في المدينة[38].

نصت الصحيفة على إن الناس أمة واحدة من خلال بنود الوثيقة نرى إن الوثيقة قد اكدت على المساواة بين طوائف المدينة من المسلمين و اليهود والمشركين وغيرهم في حق المواطنة كما أكدت الوثيقة أيضاً على حرية التعامل وإمتلاك الأموال وحرية العمل وهذا البند كان مهما لليهود خصوصا إنهم كانوا يملكون ثروات هائلة ، وأكدت الوثيقة على الدفاع والذود عن المدينة ضد أي خطر وأعتداء خارجي وإنه واجب على كل اهالي المدينة الدفاع عنها بما فيهم اليهود كما أكدت الصحيفة على التكاتف ضد أي خطر خارجي يهدد أي جانب منهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل الصحيفة ، رغم إن الصحيفة قد أشارت الى ملامح التعامل بين أهل المدينة فيما بينهم ومسألة العلاقات وظروف الخارجية إلا انها ذكرت في نصوصها اليهود وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على إهتمام كبير من قبل الرسول (ﷺ) باليهود ومحاولة كسب ودهم ، ولم يغفل دورهم الكبير في المدينة وفيما يلي النصوص التي ذكر فيها اليهود في الصحيفة :

1-إنه من تبعنا من اليهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولامتناصرين عليهم.

2-إن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين.

3-إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فانه فلايوتغ الا نفسه وأهل بيته.

4-إن ليهود بني النجار وليهود بني الحارث وليهود بني ساعدة وليهود بني جشم وليهود بني ثعلبة لهؤلاء ما ليهود بني عوف إلا من ظلم أو أثم فانه لايوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن ثعلبة ولبني الشطية مثل ماليهود بني عوف ، وأن البر دون الإثم، وإن ليهود الأوس مواليهم وأنفسهم مثل ما لأهل هذه الصحيفة .

5-إن بطانة اليهود كأنفسهم.

6-إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة[39].

المبحث الثالث

القبائل اليهودية في المدينة

من أهم القبائل اليهودية المتواجدة في المدينة، هم :

ا-يهود بني قينقاع : يعتبر يهود بني القينقاع يعتبر من أوائل الجماعات اليهودية التي سكنت المدينة، ويعود سكنهم في المدينة الى عهد النبي موسى عليه ألسلام [40]، وكانوا لهم شهرة في مجال الصناعات والصياغة[41] وبني قينقاع من أكبر القبائل اليهودية من حيث العدد والقوة والمال وكانوا يمتلكون عددا كبيرا من المقاتلين يصل الى زهاء السبع مائة مقاتل متمرس كما كان لديهم حصون كثيرة يتحصنون داخلها ، وكانوا يمتلكون عتادا وأسلحة كثيرة ، وكانوا من أوائل من نقضوا العهد مع الرسول ﷺ حيث غرتهم قوتهم وجاهروا الرسول (ﷺ) العداء وتحدوه بما كانوا يمتلكون من قوة عسكرية ، وظهر ذلك واضحا حين أنتصر المسلمون في معركة بدر حيث إنتقصوا من قيمة نصر المسلمين وإن المسلمين لم يواجهوا خصما قويا مثلهم في القوة ولوا واجهوا مثلهم لخسر المسلمون [42]، وهذا يعد بمثابة تهديد حقيقي للمسلمين وكان الكثير منهم يعمل في مجال التجارة حتى كان لهم سوق كبير يحمل إسمهم (سوق بني قينقاع) ، ولعل من الأسباب التي ادى الى إظهار حقدهم الكبير عمل الكثير من المسلمين في مجال التجارة بحكم إن الكثير من المهاجرين من اهل قريش وقريش معروفة بإهتمامها بالتجارة وكانوا أسيادها في الجزيرة العربية [43]، ولعل السبب المباشر الذي جعل الرسول ﷺ يواجه بني قينقاع هو ذهاب إمرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع بقصد بيع بضاعة لها وجلست لصائغ يهودي بقصد البيع والشراء فجعلوا يضايقونها بقصد الكشف عن وجهها فعمد الصائغ اليهودي الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت إنكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت المرءة فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه ، وكان ذلك يوم السبت من شهر شوال على رأس عشرين من شهر واما حصارهم فكان في شهر ذي العقدة[44] وبفعلتهم هذا فقد أخلوا ببنود (صحيفة المدينة) التي كانت تؤكد على تكاتف سكان المدينة والحفاظ على السلم وأمن المدينة، ورغم كل ذلك لم يبادروا بالمجيء الى الرسول (ﷺ) عسى ولعل ان يكون الرسول متساهلا في شأنهم ، بل زادوا في عنادهم وطغيانهم ولجؤوا إلى حصونهم وتحصنو وعزموا على مقاتلة المسلمين وأختيار مواجهة المسلمين عسكريا، ومما جعلهم يتخذون هذا القرار هو إغترارهم بقوتهم وتحريض عبد الله بن سلول كبير المنافقين وأحد زعماء بني عوف من الخزرج والذي كان يربطهم في الماضي تحالفات مع يهود بني قينقاع حيث حرضهم على القتال ووعدهم بأن يقف الى جانبهم في قتالهم ضد المسلمين وأن يجذب قومه الى صفهم ، حشد المسلمون قواتهم واتجهوا نحو بني قينقاع وحاصروهم فجاءة وقطعوا كل الإمدادات عنهم في قلاعهم وحصونهم مما أثر بشكل كبير في معنوياتهم ، واستمر الحصار حوالي خمسة عشر يوما [45]، وطوال فترة الحصار لم يبدي بني قينقاع نية للقتال فقد أرهبهم قوة المسلمين القتالية وعرفوا إن عبد الله بن سلول لايستطيع أن يفعل شيئا لهم وإنه تنصل من وعوده خوفاً على نفسه، لذلك لم يجدوا مناصا غير الإستسلام ، وقد حاول عبد الله بن سلول إستمالة قومه إلى جانب بني قينقاع ويظهر ذلك من خلال مخاطبته لعبادة بن الصامت رضي الله عنه احد كبار زعماء بني عوف معه حيث

قال ابن سلول لعبادة بن صامت : أنى تبرأت من حلف مواليك ؟ما هذا بيدهم عندك ،وذكره بتحالفاتهم السابقة وما كانوا عليه معا ، فقال عبادة بن الصامت:يا ابا الحباب ،تغيرت القلوب ومحا الإسلام العهود ،أما والله إنك لمعصم بأمر سنرى غيه غدا، وكان عبادة بن صامت قد ذهب قبل ذلك وتبرا عند رسول الله من أن يكون ظهيرا وحلفا للكفار واليهود، ولذلك لم يجد عبد الله بن سلول حلا سوى أللجوء الى الرسول(ﷺ) فذهب وطلب من الرسول(ﷺ) الرفق في بني قينقاع وأستجاب الرسول (ﷺ) لطلبه حفاظا على وحدة الصف إذ إن أبن ابي سلول كان من زعماء قومه وأمر الرسول (ﷺ) بني قينقاع بإلجلاء وترك المدينة خلال ثلاثة أيام وكان ذلك من أقل العقوبات صرامة جراء ما إقترفوه من جرائم ومشاكل[46] ، وكان من نتائج إجلاء بني قينقاع عن المدينة إن ازداد قوة المسلمين وأصبح للرسول (ﷺ) السلطة الأعلى في المدينة فيما قل تاثير وحجم خصومه من الكفار والمنافقين واليهود، كما تحسنت أحوال المسلمين الإقتصادية لأن البيوت والأراضي وغيرها التابعة لبني قينقاع صارت ملكا للمسلمين، وايضاً ترتب على اجلاء بني قينقاع أن وقع رهبة كبيرة في نفوس الجماعات اليهودية الأخرى في المدينة وأمتنعوا بعد ذلك عن المجادلة الدينية والعقائدية، وكفوا عن ذكر المسلمين بسيء ألقول[47].

ب-يهود بني النضير : بني النضير من أوائل الجماعات اليهودية التي نقضت العهد مع المسلمين ،حيث حرضوا كفار قريش على مقاتلة المسلمين بعد خسارتهم في بدر، حيث غاضهم انتصار المسلمين في معركة بدر، فذهب أحد زعمائهم وهو كعب بن الأشرف [48] الى مكة وحرض قريش على القتال والثأر لما أصابهم يوم بدر وحاول أن يزيد من أحقادهم وأن يثيرهم من خلال اشعاره، وكان كعب لايكف بأشعاره عن الهجاء والذم والتهجم على المسلمين ونساء المسلمين[49]، وأيضاً قام مجموعة من بني النضير على رأسهم سلام بن مشكم بأستقبال ابي سفيان بعد معركة بدر حيث نذر أبو سفيان ألا يمس ماء رأسه من جنابة حتى يغزو المدينة، فلما رجع أبو سفيان قاصدا المدينة في مئتي راكب أستقبله سلام بن مشكم وزود أبا سفياناً بمعلومات حول المسلمين والمدينة وكان هذا خرقا واضحا من قبل بني النضير لمعاهداتهم مع الرسول (ﷺ) [50] ، ورغم ذلك فقد توانى الرسول عن أتخاذ أي إجراء رادع ضدهم لعلهم يتوقفون عن اساليبهم ألتآمرية ضد المسلمين، لكن على النقيض من ذلك زاد غرور بني النضير ولعل السبب المباشر الذي دفع ألرسول الى إتخاذ قرار صارم في حقهم كان عندما ذهب الرسول (ﷺ) برفقة بعض الصحابة يطلب منهم الإشتراك في دفع دية رجلين قد قام الصحابي عمرو بن امية الضمري بقتلهما عن طريق الخط معتقدا إنهما ممن غدروا بالمسلمين في حادثة بئر معونة، أظهر اليهود المودة والإخلاص للرسول(ﷺ) وطلبوا من الرسول(ﷺ) البقاء لحين جمع الأموال من أجل دفع دية القتلى، جلس الرسول(ﷺ) في ظل إحدى بيوتهم مسندا ظهره الى حائط البيت، عند ذلك حاولوا أن يدبروا مكيدة فقال زعيمهم حيي بن أخطب لمجموعة من رجالهم :يا معشر اليهود قد جاءكم محمد في نفر من أصحابه لايبلغون عشرة، فإطرحوا عليه حجارة من فوق هذا ألبيت الذي هو تحته فأقتلوه، فلن تجدوا أخلى منه ألساعة، فإنه إن قتل تفرق أصحابه، فلحق من كان معه من قريش بحرمهم، وبقي هاهنا من الاوس والخزرج حلفائكم، وعلى رغم من تردد بعض زعمائهم وخوفهم من عواقب وتداعيات هذه المؤامرة إلا إنهم مضوا في تنفيذ الفكرة ،أحس الرسول(ﷺ) من خلال تحركاتهم بأنهم بصدد تدبير مكيدة وأنهم من خلالها ينوون قتله ﷺ لذلك خرج بدون ان يلاحظوا أي شيء في ملامح الرسول(ﷺ) وأخبرهم بأنه بصدد قضاء حاجة طارئة ثم خرج من ديارهم .

وجراء هذا العمل الخطير كان لابد للرسول (ﷺ) من ان يقوم بإجلائهم عن المدينة اذ لايمكن أن تأمن خطرهم في أي لحظة، أرسل الرسول (ﷺ) الصحابي محمد بن مسلمة رضي ألله عنه وقال له:(أذهب الى يهود بني النضير وقل لهم : ان رسول الله أرسلني اليكم أن أخرجوا من بلادي، لقد نقضتم ألعهد ألذي جعلت لكم مما هممتم به من ألغدر، وقد أجلتكم عشرا، فمن رئي بعد ذلك منكم ضربت عنقه)، وكان طلب الرسول(ﷺ) يتضمن قرار إجلاءهم عن المدينة فقط ، أي إنه كان يحق لبني ألنضير في حال قبولهم والعمل بطلب الرسول أن يحتفظوا بأراضيهم وأموالهم، حيث كان يحق لهم أخذ أموالهم ألمنقولة معهم ، وإستثمار أموالهم ألغير منقولة كالمزارع والبيوت، ويظهر هذا جليا من قول سلام بن مشكم أحد زعماء بني ألنضير حينما نصح قومه بالانصياع والعمل بقرار ألرسول(ﷺ) حيث قال سلام: فنقبل ماأعطانا من الأمن ونخرج من بلاده فأذا كان أوان ألثمر جئنا أو جاء من جاء منا ألى ثمره فباع أو صنع ما بدا له، ثم إنصرف الينا، فكإنما لم نخرج من بلادنا أذا كانت أموالنا بأيدينا [51]ويظهر من كلام بن مشكم إنهم قد أنقسموا الى قسمين قسم مع رفض أمر الرسول والخروج ويريدون المقاومة، وقسم مع الخروج بسلام والحفاظ على مايمكن لهم من ممتلكات وغيرها ،إلا ان عبد الله بن سلول شجعهم على البقاء وقال لهم :اثبتو وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، وأن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، ولاتخرجوا فإن معي من ألعرب وممن إنضوى إلي قومي الفين فأقيموا، فهم يدخلون معكم حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل ان يصلوا إلليكم [52] .

وهكذا فقد اجمع يهود بني النضير على رفض أمر الرسول(ﷺ) القاضي بالإجلاء عن المدينة فقط وأختاروا أن يقاتلوا ويقاوموا المسلمين، ولما علم الرسول بأمر عدم أنصياعهم ورفضهم أمر الرسول(ﷺ) المسلمين بالتوجه نحوا ديار بني النضير ومحاربتهم، لذلك توجه المسلمون الى بني النضير وحاصروهم داخل حصونهم وقلاعهم وشدد المسلمون الحصار عليهم وقاموا بإحراق مزارع ونخيل وأشجار بني النضير، وكان لهذه العملية تأثير كبير لبث الخوف في نفوسهم وأثر كثيراً في معنوياتهم، و أيقنوا أيضاً أن أبا عبدالله بن سلول قد خدعهم ولم يقدر على فعل شيء لهم، لذلك أرسلوا الى الرسول(ﷺ) يخبرونه إنهم قد وافقوا على الرحيل إلا أن الرسول أخبرهم بأن طلب الإجلاء كانت قبل المقاومة أما ألآن وقد قاوموا وحاولوا تحدي المسلمين فإن عليهم الإستسلام بشروط جديدة وهي تتضمن الى جانب الإجلاء أيضاً إن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة اي انهم يستطيعون أخذ مايقدر حيواناتهم على الحمل اما الأراضي والزرع وأسلحتهم فعليهم ان يتركوها للمسلمين [53]، لم يجد يهود بني النضير مناصا غير الاستسلام والرحيل لذلك نزلوا على الأمر الواقع ورحلوا حسب شروط الرسول(ﷺ) لقد ترتب على إخراج بني النضير أن إزداد قوة المسلمين وقل قوة المنافسين من كفار ومنافقين ويهود و أوقف اليهود الحرب العقائدية والمجادلة كما استفاد المهاجرون من ديار بني النضير واتخذوها سكنا وبذلك خفف الرسول(ﷺ) أعباء الانصار اللذين شاركوا المهاجرين بيوتهم في السكن كما أستفاد المسلمون من أراضيهم وأسلحتهم التي تركوها، وأنزل الله تعالى في بني النضير يصف حالتهم قوله[54]:

((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ٣)) .

ج-يهود بني قريظة: يعتبر بني قريظة إحدى أكبر القبائل اليهودية في المدينة وكانت لهم قوة عسكرية لا تستهان بها تضم ألمئات من المقاتلين، وأيضاً كان لهم شهرة كبيرة في صنع الأسلحة الحربية، وقد سكن بني قريظة في حرة واقم في الأجزاء الشرقية للمدينة التي كانت تمتاز بخصوبة أرضها وكثرة أشجارها، وقد كانوا حلفاء هم وبني النضيرمع قبيلة أوس في حروبها مع قبيلة خزرج، وقد حاول يهود بني قريظة في معركة الأحزاب (الخندق) سنة 5 للهجرة الغدر بالمسلمين، وذلك بعد أن أتصل بهم زعماء بني النضير خاصة حيي بن أخطب النضري وأستطاع إقناع كعب بن أسد كبير زعماء بني قريظة، بأن يقوموا بتصديع الجبهة الداخلية لكي يسهل على الأحزاب التغلغل داخل المدينة والقضاء على المسلمين [55]،وخصوصا أن بنى قريظة كانوا يسكنون الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، وقد اوكل إليهم الرسول ﷺ حماية تلك الجهات وصد كل خطر خارجي ياتي من تلك الاتجاه[56]، وقد علم رسول (ﷺ) بعزم اليهود على غدر المسلمين وذلك بعد أن تقصى ذلك من خلال إرسال الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه، الذي رأى أستعدادات اليهود من خلال ترميم حصونهم وتهيئة مقاتليهم[57]، وكان الأحزاب قد فشلوا في إقتحام المدينة نتيجة الخندق الذي حفره المسلمون في مدخل المدينة وأيضاً لبسالة المسلمين في التصدي لهم في محاولاتهم لإجتياز الخندق، فكان أملهم الوحيد هو في التنسيق والمؤامرة مع بني قريظة من الداخل، ولكن الرسول (ﷺ) أستطاع بسياسته الحكيمة زرع بذور الشك وعدم الثقة بين الطرفين من خلال أرسال الصحابي نعيم بن مسعود الذي اتى الرسول (ﷺ) متسللا من بين قومه غطفان الذين كانوا من ضمن القوى المشاركة في الأحزاب في حصار المدينة، وأشهر نعيم إسلامه للرسول (ﷺ) لكن الرسول امره بأن يكتم إسلامه و أوكل إليه مهمة عظيمة، فقال الرسول (ﷺ) لنعيم :(إن الحرب خدعة، فإحتل لنا مخرجا)، حتى أتى نعيم بن مسعود بني قريظة وقال: قد عرفتم ودي لكم وتحقيقي بكم ،فقالوا :لست عندنا بمتهم، قال: والرأى أن لاتقاتلوا محمداً مالم تأخذوا من قريش رهائناً ، كيلا يعودوا إلى بلادهم أن عضتهم الحرب ، ويخلوا بينكم وبين محمداً قالوا : هو ذا الوجه ،ثم أتى قريش، فقال:إن اليهود قد ندموا على نقض العهد، وقد أرسلوا الى محمداً هل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان مائة رجل فندفعهم إليك لتضرب أعناقهم ؟ فإن ألتمسوا منكم رجالا فلا تجيبوهم إليه قالوا :هو الوجه ،ثم إن قريشا قالوا لبني قريضة: إنا لسنا بدارمقامة، وقد هلك الخف والحافر، وأنتم أزعجتموناعن بلادنا فأغدوا للقتال وأخرجوا للميعاد ، فقالت بني قريضة :إنا لا نأمن منكم أن تعودوا ألى بلادكم إن عضتكم الحرب فإن أرتم ذلك فأعطونا رهائن تكون ثقة لنا، قالت قريش:صدق نعيم، وقالت بنو قريضة :صدق نعيم وصح [58]، وبذلك فشل الطرفان في التوصل الى أتفاق بشأن تعاون الطرفان والعمل على القضاء على المسلمين، وفقد الأحزاب أخر أمل من أجل دخول المدينة واضطروا إلى ألإنسحاب نتيجة طول حصارهم للمدينة ونفاذ مؤنهم وسوء حالهم نتيجة الظروف الجوية السيئة وبسالة المسلمين ووجود الخندق .

بعد إنسحاب الأحزاب وتلاشي خطرهم عن المدينة، طالب الرسول(ﷺ) المسلمين التوجه مباشرة إلى مكان سكن بني قريضة، إذ لايمكن ألتغاضي عن مسألة خطيرة مثل الغدر إلتي كادت أن تؤدي الى ألقضاء على المسلمين وأنهيار دولة

المدينة، وأذن مؤذن في الناس :من كان سامعا مطيعا ، فلا يصلين العصر إلا ببني قريضة ، لذلك توجه المسلمون الى بني قريضة وحاصروهم في قلاعهم وحصونهم، إستمر حصار المسلمين لبني قريضة خمسا وعشرين يوما ، لم يقم اليهود بأي مجابهة فقط بقوا يتحصنون داخل قلاعهم لأنهم كانوا يعلمون مدى قوة المسلمين والروح المعنوية العالية لديهم، وقد حاولوا طيلة فترة الحصار إقناع الرسول (ﷺ) بأن يعاملهم كما عامل يهود بني قينقاع ويهود بني النضير، إلا أن الرسول (ﷺ) أصر على أن يستسلموا دون أي شرط، وبعد أن أنهكهم الحصار أضطروا الى الإستسلام على أن يحكم في مصيرهم سعد بن معاذ رضي الله عنه زعيم الأوس لعل وعسى أن يكون عقوبتهم على يد سعد اقل قساوة لإنهم كانوا يتوسمون في سعد أملاً لأن قبيلة سعد أي الاوس كانت في الماضي تربطهم تحالفات مع بني قريضة، وافق الرسول (ﷺ) على طلبهم وترك لسعد إتخاذ القرار المناسب في شأن بني قريضة ، حاول اليهود وبعض التأثير في سعد بن معاذ من أجل إتخاذ قرار لا يكون صارما في حق بني قريضة وكان سعد في اواخر حياته وكان يعاني من أثر جرح بالغ لحق به أثناء مقاومة الأحزاب، رد سعد عليهم وقال: وقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم قال: إني أحكم فيهم أن تقتل ألرجال، وتقسم ألأموال، وتسبى الذراري والنساء.

وعلى الرغم من أن معظم المصادر أشارت الى أن الرسول(ﷺ) نفذ حكم سعد بن معاذ في يهود بني قريضة، لأنهم أستحقوا هذه العقوبة نتيجة محاولتهم الغدر بالمسلمين ،إلا أن هناك أراء كثيرة تشكك في أن الرسول(ﷺ) قام بعقوبتهم بالشكل الذي أقترحه سعد بن معاذ وذلك للأسباب التالية:

1-أن قتل جميع رجال بني قريضة الذين يتراوح عددهم بين الستمائة والسبعمائة، بعد ان إستسلموا والقوا السلاح ،لاينسجم مع سياسة الرسول (ﷺ) التي مارسها ضد خصومه سواء أكانوا من المشركين أواليهود.

2-لقد حدد القران أسلوب معاملة الأسرى بقوله تعالى[59] :((فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤))

أي أن الأسير يعامل إما بأطلاق سراحه من غير مقابل أو يطلق سراحه مقابل فدية، ولايوجد في القران نص يبيح قتل الأسرى.

3-يجوز القول إن قلة من رجال بني قريضة ليسوا مجرد أسرى بل هم مجرموا حرب ،لأنهم نقضوا عهدهم مع الرسول (ﷺ) وهو يخوض معركة مصيرية، وحاولو طعن المسلمين من الخلف، وهذا في الحقيقة ينطبق على زعمائهم وذوي الرأي منهم .أما عامتهم فهم تبع لأسيادهم في تنفيذ أوامرهم في حال السلم والحرب لذا فإن من المرجح إن الرسول (ﷺ) قد قتل زعماء بني قريضة بصفتهم أصحاب القرار ومجرمي حرب، وعفا وأخذ الفدية من الباقين وحسب ظروف كل حالة، وربما مما يؤيد هذا الرأي ما ورد في القران الكريم في وصف قتال المسلمين لبني قريضة[60]:((وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧)) ،ويتبين من سياق هاتين ألآيتين أن المسلمين قد قتلوا مجموعة من أليهود ربما في أثناء ألحرب، وأسروا جماعة اخرى، ثم أجلوهم عن ديارهم بعد أخذ ألفدية منهم، كما فعلوا مع بقية اليهود .

وإن قتل يهود بني قريضة كلهم أخذته كتب ألتاريخ بشكل عام من أبن أسحاق في كتابه (ألمغازي وألسير) ويعترف أبن أسحاق إن أهم ألمصادر ألتي أخذ منها تفاصيل هذه ألحادثة هم محمد بن كعب ألقرضي وعطية ألقرضي وهم من أبناء أليهود ألذين أسلموا، وهؤلاء أدخلوا ألكثير من ألرويات في ألسيرة، قد لاتدل على حسن النية، أو إن فيه ميل لتضخيم أجدادهم وأعمالهم لذ كان ابن أسحاق موضع نقد شديد من الإمام مالك، حيث أنكر عليه تتبعه غزوات الرسول (ﷺ) من اولاد اليهود الذين أسلموا[61].

ورغم إجلاء القبائل الثلاثة من المدينة إلا إن اليهود بقوا في المدينة والقبائل اليهودية كانت كثيرة تجاوزت العشرين قبيلة أنذاك، ومارسوا شعائرهم الدينية بحرية تامة كما تعامل الرسول(ﷺ) معهم في حياته اليومية، ونرى أن منهم من أسلم في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا[62] .

النتائج:

في نهاية البحث وصلنا الى عدة نتائج، اهمها:

1- اليهود قاموا بهجرات عديدة واختلطوا بحضارات كبيرة مثل الحضارة المصرية والشامية و وادي الرافدين كانت له إنعكاسة على ثقافتهم وحضارتهم لذلك نرى إنهم كانوا اصحاب آطام وحصون وغيرها من الأشياء في الجزيرة العربية وخاصة في المدينة على عكس القبائل العربية التي كانت تعيش حياة بسيطة ولم تألف تلك الأشياء.

2-اليهود هم كانوا من الأوائل الذين سكنوا يثرب وعمروها واخذوا الأماكن المناسبة ذات خصوبة ومياه وفيرة لذلك نراهم حتى إنهم يقومون بإشغال غيرهم في بساتينهم ومزارعهم بأشكال عديدة سواءا عن طريق الزرع بنسبة أو إيجار للأراضي او على شكل عامل يومي أو ماكانوا من عبيد عندهم.

3-نافست المدينة مكة في التجارة لأنها كانت ذات موقع أسترتيجي على الطريق بين الشام واليمن وكانت تصدر بضائع

عديدة من المنتجات الزراعية منها التمور والمحاصيل الأخرى وكان لليهود دور كبير فيها .

4-كان لليهود دور كبير في إنعاش تجارة المدنية وكانت لهم أسواق تجارية كثيرة في المدينة يقصدها الكثير من الناس وكانت تقام غالبا تلك الأسواق بالقرب من الآطام التي كانت بمثابة مخزن للأشياء أيضاً التي كان يتعاملون بها .

5-أهتم الرسول (ﷺ) باليهود كثيرا ولم يغفل دورهم في المدينة وإنهم من الجماعات الكبيرة في المدينة التي كانت له تاثير في المدينة وساوا بين اليهود والمسلمين وغيرهم من الجماعات الأخرى في المدينة من حيث الحقوق والواجبات حتى ان الرسول (ﷺ) ضمن صحيفة المدينة العديد من البنود التي ذكر لفظة اليهود فيها نصا .

حاول الرسول(ﷺ) مرات عديدة كسب اليهود الى جانبه لعلمه بما في مقدرة اليهود من العمل على إستقرار الأوضاع في المدينة.

6-القبائل اليهودية الكبرى حاولوا بشتى الوسائل والطرق ممارسة الضغط على المسلمين وإجهاض تجربة الدولة الإسلامية وكانوا ينظرون الى المسلمين كالدخلاء و الغرباء على المدينة وإن المسلمين أصحاب ديانة سماوية جديدة سوف يحل محل ديانتهم ويكون للإسلام السلطة الدينية المطلقة في المدينة .

7-رغم إجلاء القبائل اليهودية الثلاثة الكبرى إلا إن اليهود بقى لهم تواجد في المدينة ممن لم يعملوا على إثارة المشاكل حتى نرى إن الرسول(ﷺ) تعامل معهم في حياته اليومي وهذا دليل على تعايش المسلمين مع غيرهم حتى ولوا كانوا يهودا وفي رهن الرسول(ﷺ) لدرعه عند يهودي قبل وفاته خير دليل على ذلك .

الهوامش :

[1] القرءآن الكريم، آل عمران 67.

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711ه)، لسان العرب, دار صادر (بيروت–1956)ج5 ص439.

[3] السهيلى، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت581ه)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية, الطبعة الأولى(القاهرة–1971)ج2/ص24.

[4] الفريد لويس، تاسيس الإسلام بين الكتابة والتأريخ، الطبعة الأولى ، دار الساقي (بيروت–2009) ص92.

[5] العلي، أحمد صالح: تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية، الطبعة الثالثة، شركة المطبوعات(بيروت–2013) ص206 .

[6] أحمد امين سليم، في تاريخ الشرق الادنى القديم، الطبعة الأولى ، دار النهضة(بيروت–1990) ص127.

[7] المجذوب،احمد علي،المستوطنات اليهودية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،ا لدار المصرية اللبنانية(القاهرة–1992) ص35–38، السوسة، أحمد، العرب واليهود في التأريخ، الطبعة الثانية، العربي للطباعة والنشر(د.م–د.ت) ص327 .

[8] هنري عبودي، معجم الحضارات السامي، الطبعة الأولى ، جروس بروس (لبنان–1988) ص290 .

[9] مهران ، محمد بيومي، دراسات في تأريخ العرب القديم، الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية (القاهرة–1997) ص449 .

[10] أسرائيل لنفسون، تاريخ اليهود في البلاد العربية، الطبعة الأولى ، مطبعة الاعتماد(مصر–1937) ص9.

[11] الشريف ,احمد بن ابراهيم, مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول, د. طبعة(القاهرة–1956م)ج/1ص31.

[12] حسين الحاج حسن، حضارة العرب في الجاهلية، الطبعة الرابعة ، دار مجد المؤسسة(بيروت–2006) ص 88.

[13] أسرائيل ولنفسون، المصدر السابق، ص217 .

[14] السهيلي، المصدر السابق، ج2ص250–251.

[15] السمهودى، نور الدين علي بن عبدالله بن حسن(ت911ه) ، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، تحقيق:محمد محي الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت–1955)ج/1ص157.

[16] السمهودي، المصدر نفسه، ج/1ص116 .

[17] السمهودي، المصدر نفسه، ج1/ص159.

[18] ولنفسون ، المصدر السابق، ص116.

[19] السمهودي، المصدر السابق، ج/1ص144 .

[20] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك(ت218ه)، السيرة النبوية، تحقيق:طه سعد، دار الجيل(بيروت–1991)، ج/3ص76 .

[21] البلاذري، احمد بن يحيى(ت279ه)، البلدان فتوحها وأحكامها، مكتبة العصرية (بيروت–2008)ج8/ص392.

[22] الشريف: المصدر السابق، ص394 .

[23] ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت626ه)، معجم البلدان، دار الفكر (بيروت–د–ت)، ج4/ص424.

[24] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج13/ص128.

[25] السمهودى، المصدر السابق، ج1/ص544–545.

[26] باشميل ، محمد احمد،غزوة بني قريضة، الطبعة الاولى ، دار الكتب (بيروت– 166) ص45–47.

[27] الشريف، المصدر السابق،ص399.

[28] ابن شبة، أبو زيد عمربن شبة النميري(ت262ه)، تاريخ المدينة المنورة، دار الاصفهاني(جدة–1979)، ج1/ص177.

[29] الواقدي، محمد بن عمر بن واقد(ت207ه)، المغازي، دار عالم الكتب(لبنان–د–ت)
ج2/ص693.

[30] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5/ص82.

[31] السيد عبد العزيز سالم ، تأريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة(اسكندرية–د–ت)ص352 .

[32] ابن سعد، ابو عبد الله محمد سعد بن منيع البصري(ت230هـ)، الطبقات، دارصادر(بيروت–د–ت)ج2 ص58 .

[33] الشريف، المصدر السابق، ص277.

[34] الشريف، المصدر نفسه، ص278.

[35] الواقدي، المصدر السابق، ج2/ص671.

[36] الشريف، المصدر السابق ، ص307.

[37] العمري، اكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة–1992م) ج1/ص275.

[38] الشريف، المصدر السابق، ص387 .

[39] ابن هشام، المصدر السابق، ج2/ص94–95 .

[40] السمهودى، المصدر السابق، ج1/ص279.

[41] الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الطبري، تحقيق:محمد ابوالفضل ابراهيم دا سويدان (بيروت–1964م) ج2/ص481.

[42] الواقدي، المصدر السابق ،ج1ص176 .

[43] ألملاح، هاشم يحيى، ألوسيط في ألسيرة ألنبوية وألخلافة ألراشدة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية(بيروت–2007) ص231 .

[44] الواقدي ، المصدر السابق ،ج/1ص176–177 .

[45] ابن هشام، المصدر السابق، ج3/ص55 .

[46] الواقدي، المصدر السابق، ج1/ص179 .

[47] إسرائيل لنفسون، المصدر السابق، ص131 .

[48] كعب بن الاشرف:من اشراف بني النضير ينتسب من جهة الأب الى بني نبهان من قبيلة طيء، قدم أبوه الى المدينة وحالف بني النضير وتزوج عقيلة بنت بي الحقيق فولدت كعب،ينظر:أبن هشام ، المصدر السابق، ج3/ص58 .

[49] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (748هـ)، تأريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام، ط2، دار الكتاب العربي(د–م–1990م) ص158 .

[50] الطبري، المصدر السابق ، ج2/ص284 .

[51] الملاح، المصدر السابق، ص244–245 .

[52] الطبري، المصدر السابق، ج2/ص553 .

[53] ابن هشام، المصدر السابق، ج2/ص191 .

[54] القرءآن الكريم، سورة الحشر: ألآية1–3 .

[55] ابن هشام ، السيرة النبوية، ج3/ص133 .

[56] اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت284هـ)، تأريخ اليعقوبي (بيروت–1960) ج2/ص52 .

[57] الواقدي، ألمغازي ، ج2/ص457 .

[58] ابن سعد، ألطبقات، ج/ص62 .

[59] القرءآن الكريمن سورة محمد: الآية 4 .

[60] القرءآن الكريم، سورة الاحزاب: ألآية 26–27.

[61] الملاح، المصدر السابق ، ص253–254 .

[62] ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني(ت852هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر (بيروت –ب.س) ج1/ص187.

المصادر والمراجع:

ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري/(ت390هـ)

1. الكامل في التاريخ ، الطبعة الاولى, دار الكتب العلمية, (بيروت–1995م).

ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني/(ت852هـ)

2. الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الاولى, دار صادر, (بيروت –بلا).

3. فتح الباري لشرح صحيح ألبخاري، علق عليه: طه عبد الرؤوف سعدون ومحمد الهواري، الطبعة الاولى، مكتبة الكليات الازهرية, (القاهرة–1978م).

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان/(ت748هـ)

4. تأريخ الأسلام و وفيات المشاهير والاعلام، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، (بلا–1990م).

أبن سعد، ابو عبد الله محمد سعد بن منيع البصري/(ت230هـ)

5. الطبقات الكبري، الطبعة الاولى, دار صادر, (بيروت–بلا).

السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله بن حسن/(ت911هـ)

6. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دارالكتب العلمية, (بيروت–1955).

السهيلى, أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي/(ت581هـ)

7. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية, الطبعة الاولى, (القاهرة–1971)

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير/(ت310هـ)

8. تاريخ الطبري، تحقيق:محمد ابوالفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى, دار سويدان, (بيروت–1964م).

ابن منظور، محمد بن مكرم/(ت711هـ)

9.لسان العرب, الطبعة الاولى, دار صادر (بيروت–1956).

ابن هشام، ابو محمد عبد الملك/(ت218هـ)

10. السيرة النبوية، تحقيق: طه سعد، الطبعة الاولى, دار الجيل, (بيروت–1991م).

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد/(ت207هـ)

11. المغازي، الطبعة الاولى, دار عالم الكتب(لبنان–بلا).

ياقوت الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله/(ت626هـ)

12. معجم البلدان، الطبعة الاولى, دار الفكر, (بيروت–بلا).

– المراجع:

أحمد امين سليم/

13. في تأريخ الشرق الادنى القديم، الطبعة الاولى، دار النهضة, (بيروت–1990م).

اشميل ، محمد احمد /

غزوة بني قريضة، الطبعة الاولى ، دار الكتب, (بيروت– 1966)

جواد علي/

14. المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين, (بيروت–1976م).

حسين الحاج حسن/
15. حضارة العرب في الجاهلية، الطبعة الرابعة، دار مجد المؤسسة, (بيروت–2006م).
سوسة، احمد/
16. العرب واليهود في التأريخ ، الطبعة الثانية، العربي للطباعة والنشر, (بلا).
السيد عبد العزيز سالم/
17. تأريخ العرب قبل الاسلام، مؤسسة شباب الجامعة(اسكندرية–بلا).
سيد قطب، ابراهيم حسين الشاذلي/
18. معركتنا مع اليهود، الطبعة الرابعة عشر، دار الشروق, (القاهرة – 2001م).
الشريف، احمد/
19. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، الطبعة الاولى, دار الفكر العربي, (القاهرة–1985م).
الشواد، صفوت/
20. اليهود النشاة والتأريخ، الطبعة الاولى, دار التقوى(القاهرة–بلا).
العلي،احمد صالح/
21. تأريخ العرب القديم والبعثة النبوية، الطبعة الثالثة،شركة المطبوعات(بيروت–2013م).
العمري ، اكرم ضياء/
22. السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة الاولى, مكتبة العلوم والحكم, (المدينة المنورة–1992م)
المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماتها, الطبعة الاولى، (بلا–1984م).
المجذوب، احمد علي/
23. المستوطنات اليهودية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الطبعة الاولى, الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة–1992م).
الملاح، هاشم يحيى/
24. ألوسيط في ألسيرة ألنبوية وألخلافة ألراشدة، الطبعة الاولى ،دار الكتب العلمية, (بيروت–2007م).
مهران، محمد بيومي/
25. دراسات في تأريخ العرب القديم، الطبعة الاولى، دار المعرفة الجامعية, (القاهرة–1997م).
لنفسون, أسرائيل/
26. تاريخ اليهود في البلاد العربية، الطبعة الاولى، مطبعة الاعتماد, (مصر–1937م).
لويس, الفريد/
27. تأسيس الإسلام بين الكتابة والتأريخ، الطبعة الاولى, دار الساقي, (بيروت–2009م).